٤
المُسْلِمُ مَعَ زَوْجَتِهِ

نَظْرَةُ الإِسْلامِ لِلزَّوَاجِ والمَرْأَةِ:

الزواج في الإسلام سَكَنٌ للنفس، وراحةٌ للقلب، واستقرارٌ للضمير، وتعايشٌ بين الرجل والمرأة على المودّة والرحمة والانسجام والتعاون والتناصح والتسامح، ليستطيعا في هذا الجو الأليف الوديع الحاني أن يؤسِّسا الخليّة السعيدة، التي تَرِيش فيها الفِراخُ الزُّغْبُ، وتنشأ فيها الأسرة المسلمة السليمة.

وقد صوّر القرآن الكريم هذه العلاقة الفطرية الأبدية بين الرجل والمرأة تصويراً رقيقاً شائقاً، تشيع فيه أنداء السكينة والأمن والطمأنينة، ويفوح منه عبير المحبة والتفاهم والرحمة:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1].

إنها صلة النفس بالنفس في أوثق وشائجها، يعقدها الله بين النفسين، لتنعما بالسكينة والاستقرار والراحة، في بيت الزوجية الهنيء المحبَّب، العامر بالمودّة الخالصة والرحمة الظليلة الحنون.

والمرأة الصالحة في الإسلام متعة الحياة الأولى، ونعمة الله الكبرى على الرجل، إذ يسكن إليها من لَأْواء العيش ولُغوب الكَدْح والنَّصَب، فيجد

---

(١) الروم: ٢١.

عندها الراحة والسلوى والمتاع الذي لا يدانيه في حياة الإنسان متاع، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول:

«الدُّنْيا مَتاعٌ، وخَيْرُ مَتاعِها المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(١).

هذه هي نظرة الإسلام إلى الزواج في أفقه العالي الوضيء، وتلك هي نظرته للمرأة في علياء أنوثتها المكرّمة.

الزَّوْجَةُ الَّتِي يَطْلُبُها المُسْلِمُ:

وانطلاقاً من هذه النظرة السامية للزواج والمرأة، لا تستهوي المسلمَ الحقَّ المظاهرُ الفارغة التي تتستّر بها بعض فتيات هذا العصر، وإنما تستهويه شخصية الفتاة المسلمة الكاملة، ولذا فهو يتريّث في اختياره رفيقة عمره، مفتشاً عن الفتاة التي تحلّت بالصفات الإسلامية العالية التي تحقّق الحياة الزوجية الهنيئة المستقرّة. ومن هنا لا يكتفي الرجل المسلم بالجمال والتألّق والرشاقة وما إلى ذلك مما يقف عنده فقط الشبّان الفارغون من بهارج وزخرف، بل يتطلّب إلى جانب ذلك كله الدّين القويم، والعقل الراجح، والسيرة الحسنى، مستهدياً بهَدْي الرسول الكريم:

«تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِها، ولِحَسَبِها، ولِجمالِها، ولِدِينها، فَاظْفَرْ بِذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ(٢)»(٣).

على أن وصية الرسول الكريم أن يفتش الشاب المسلم عن ذات الدين لا تعني إهدار رغبته في جمال الشكل؛ فالرسول ﷺ ندب إلى النظر للمرأة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) هذا دعاء للراغب بذات الدين، وترغيب فيما أوصى به الرسول.

(٣) متفق عليه.

قبل العقد عليها، لكيلا يتورّط مسلم في زواج فتاة لم يرتح لها قلبه، ولا تسرّ لمرآها عينه.

فعن المغيرة بن شعبة قال: خطبتُ امرأةً على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «أَنَظَرْتَ إِلَيْها؟» قلتُ: لا، قال: «فانظُرْ إليها، فإنهُ أَجْدَرُ أنْ يُؤْدَمَ بينَكُما[1]»[2].

وجاء رجل خطب امرأة من الأنصار إلى النبي ﷺ، فقال له الرسول الكريم: «هَلْ نَظَرْتَ إليها؟» قال: لا، فأمره أن ينظر إليها[3].

وأكد رسول الله ﷺ في أكثر من حديث أن الجمال من الصفات الأساسية التي يتطلبها الرجل في المرأة الصالحة، إلى جانب الصفات المعنوية الأخرى، وأن كُلًّا منهما لا يغني عن الآخر. ومن ذلك قوله لابن عباس:

«ألا أُخبرُكَ بخيرِ ما يَكنِزُ المرءُ؟ المرأةُ الصّالحةُ. إذا نظرَ إليها سَرَّتْهُ، وإذا أَمَرَها أطاعَتْهُ، وإذا غابَ عَنْها حَفِظَتْهُ»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ: أيُّ النِّساءِ خيرٌ؟ فقال: «التي تَسُرُّهُ إذا نَظَرَ، وتُطِيعُهُ إذا أَمَرَ، ولا تُخالِفُهُ فيما يَكْرَهُ في نَفْسِها ومالِهِ»[5].

إنها النظرة النبوية الهادية الصائبة إلى شخصية المرأة التي تستطيع أن تهب الرجل السعادة والسكينة والاستقرار، والتي تستطيع أن تخلع على عشّ

---

(١) أي يكون بينكما المحبة والاتفاق.

(٢) رواه النسائي بإسناد صحيح.

(٣) رواه النسائي وابن ماجه بإسناد صحيح.

(٤) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

الزوجية ومحضن الفراغ الزغب البشاشةَ والأمن والرضا، وتكون بالتالي مربّية الأجيال، وصانعة الأبطال، ومنشئة العباقرة. وإنه لَلْحرصُ من رسول الإسلام العظيم على أن يُبْنَى الزواجُ على أساس مكين راسخ متوازن من مطالب الجسم والعقل والروح والعاطفة، ليكون قوياً لا يزعزعه تنافر الأمزجة، ولا تعصف به نزوات النفوس، ومن هنا كان المسلم الحق المستهدي شريعة الله في خطواته كلها بصيراً، لا يقع في حبائل خضراء الدِّمَن، وهي المرأة الحسناء في منبت السوء، بل يقول للناس مع القائل: «إيّاكُمْ وخضراءَ الدِّمَن»[1].

يَلْتَزِمُ هَدْيَ الإِسْلامِ فِي حَيَاتِهِ الزَّوْجِيَّةِ:

والمسلم الحق الصادق ملزَم بعد زواجه بالسير على هَدْي الإسلام العالي في معاشرته لزوجته وتعامله معها. ولو رحنا نتدبّر هَدْي الإسلام العظيم في توصيته بالمرأة، والحضّ على تكريمها وحسن معاملتها لرأينا عجباً.

لقد أوصى الإسلام بالمرأة، وأحلّها مكانة ما عرفَتْها يقيناً في غير هذا الدين. فها هوذا رسول الله ﷺ يهيب بالرجال جميعاً:

«إسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْراً، فإنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وإنَّ أَعْوَجَ ما في الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فإنْ ذهبتَ تُقيمُه كسَرْتَه، وإن تركتَه لم يزلْ أَعْوجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساء»[2].

وفي رواية في الصحيحين: «المَرْأَةُ كَالضِّلَعِ: إنْ أَقَمْتَها كَسَرْتَها، وإنِ اسْتَمْتَعتَ بِها اسْتَمْتَعْتَ بها، وفيها عَوَجٌ».

وفي رواية لمسلم: «إنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقيمَ لَكَ على

---

(١) هذا القول ليس بحديث.

(٢) متفق عليه.

طَـريقَةٍ، فـإنِ اسْتَمْتَعْتَ بهـا، اسْتَمْتَعْتَ بِهـا وفيهـا عَـوَجٌ، وإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهـا كَسَرْتَها، وكَسْرُها طلاقُها».

إن في هذا التمثيل النبوي البليغ لَبياناً رائعاً لحقيقة المرأة ومزاجها الذي فُطِرَت عليه؛ فهي لا تستقيم على حـال واحدة كمـا يريـد الـزوج، فينبغي أن يعلم الزوج المسلم أن ذلك فيها سجية وطبع وخليقة، فـلا يحاولَنَّ أن يقيمهـا على الجـادة التي وقر في خَلَده أنهـا الصواب أو الكمـال، وليـراعينّ مـزاجهـا الأنثوي الخاص، وليقبلها كما خلقهـا الله، وفيها عَـوَج عما يـريد ويـرغب في بعض الأمـور، وإن أبـى إلاّ أن يقيمها على إرادتـه ومزاجـه، فمثَلُه كمثَلِ مَنْ أبـى إلاّ أن يقيم اعـوجاج الضِّلَع، فـإذا هو ينكسـر بين يـديـه، وكَسْـرُ المـرأة طلاقُها.

وحينمـا يستقر في وجـدان الزوج المسلم الصـادق هذا الهَـدْي النبـوي العالي، المبني على تفهّم عميق لنفسية المرأة ومزاجها، يتسامـح في كثير من هفـوات زوجه، ويغضّ الـطرف عن عديـد من هَنَواتهـا، تقديـراً منه لخلقتهـا وفطرتها، فإذا بيت الزوجيـة آمن هادىء سعيـد، لا صراخَ فيـه ولا صخبَ ولا خصامَ...

وإن المتأمل نصّ هذا الحديث ليـلاحظ أن النبـي الكريم صـدّر حديثـه بعبارة: «استَوْصُوا بالنِّساء خَيْراً». ثم عاد بعد تحليله شخصيّتَها فختم الحديث بالعبارة ذاتها: «فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ». فما أشدَّ عنايةَ الرسول الكريم بالمرأة! وما أعمقَ فهمَه لنفسيتها! وما أكثَر حَدَبَهُ عليها! وهل يسع الزوجَ المسلمَ الصـادقَ إلا أن يتمثّل هذا الهَدْي الكريم، ويعمل به في كلّ آن؟.

وتبلغ عناية الرسول الكريم بالمرأة أنه لم ينسَ أن يُلْمِعَ إلى التوصيـة بها في خطبة حجّة الوداع، وهي الخطبة التي اعتصر فيها ما ينبغي قوله للمسلمين بعد أن أحسّ أن هذه آخر وقفة لـه معهم في الحج، لم يفتـه في هذه الخـطبة

الجليلة الحافلة أن يوصي بالنساء، مفتتحاً حديثه عنهنّ بهذا التنبيه الدال على العناية والاهتمام:

«ألا واسْتَوْصُوا بـالنِّساءِ خَيْـراً، فإنَّهُنَّ عَـوَانٍ عندَكمْ ليسَ تَمْلِكـونَ منهنَّ شَيْئـاً غيـرَ ذلـكَ، إلاّ أنْ يـأْتِينَ بفـاحِشَـةٍ مُبَيِّنَـةٍ، فـإنْ فَعَلْنَ فـاهْجُـروهُنَّ في المَضاجِعِ، واضْرِبوهُنَّ ضَرْباً غَيرَ مُبَرِّح، فإنْ أطَعْنَكُمْ فلا تَبْغُوا عليهنَّ سَبيلاً، ألا إنَّ لكمْ على نِسـائِكمْ حَقّـاً، ولِنِسـائِكُمْ عليكمْ حَقّـاً، فحقُّكُمْ عليهنَّ ألاّ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْـرَهونَ، ولا يَـأْذَنَّ في بُيوتكمْ لِمَنْ تَكْـرَهونَ، ألا وحَقُّهنَّ عليكمْ أنْ تُحسِنوا إليهنَّ في كِسْوَتِهنَّ وطَعامِهنَّ»[1].

إنها الوصية التي يسمعها كل زوج مسلم صادق واع، فيرى فيها الهَـدْيَ النبوي الحكيم في تحديـد الحقوق والـواجبات على الأزواج والـزوجات، في إطار من الرحمة بالنساء والحَدَب عليهنّ والإحسـان إليهنّ، مما لا يـدع مجالاً للتفكير بظلم الزوجة أو الإضرار بها في بيت الزوجية المسلم.

وتتعدّد توصيات الرسول الكريم بـالمرأة، حتى تبلغ حـدّاً يجعل الـزوجَ المحسن لزوجته من خيار الأمة وصَفْوتها:

«أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلُقاً، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم»[2].

وجاءت نسوة إلى آل الرسول الكريم يشكون أزواجهنّ، فأعلن الرسـول صلوات الله عليه على أسماع الرجال:

«لَقَـدْ أطـافَ بـآلِ مُحَمَّـدٍ نِسَـاءٌ كَثيـرٌ يَشْكـونَ أزواجَهنَّ، ليسَ أولئـكَ بخيارِكمْ»[3].

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

ويسمو الإسلام الحنيف في إنصاف المرأة وتكريمها، وتوصية الزوج بحسن معاشرتها حتى ولو كان كارهاً لها، وهذا ما لم تصل إليه المرأة في تاريخها كله إلاّ في هذا الدين. يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

إن هذه الآية الكريمة لَتلمسُ وجدان المسلم الصادق، فتهدّىء من فورة غضبه، وتفثأ من حدّة كراهيته لزوجته، وبذلك يقي الإسلام عروة الزوجية من الانفصام، ويحفظ الرباط المقدّس أن يكون عرضة لنزوة العاطفة المتقلّبة، وحماقة الميل الأهوج الطائر هنا وهناك. وما أعظمَ قولَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل أراد أن يطلّق زوجته لأنه يكرهها: «ويحكَ ألم تُبْنَ البيوتُ إلاّ على الحبّ؟ فأينَ الرِّعايةُ والتّذمُّم؟».

إن عقدة الزوجية في الإسلام لأكبر من النزوات العاطفية الصغيرة، وأجلُّ من ضغط الميل الحيواني المسعور، وإن في المسلم الحق من المروءة والنبل والتجمّل والاحتمال وسعة الصدر وسمو الخلق ما يجعله يرتفع في تعامله مع زوجته التي يكره، بعيداً جداً عن نزوات البهيمة، وطمع التاجر، وتفاهة الفارغ.

بل إن المسلم الحق لا يسعه إلاّ أن يمتثل أمر ربه، فيحسن معاشرة زوجته، ولو كان كارهاً لها؛ ذلك أنه يتدبر قول ربه العليم الخبير بما خفي عليه، وهو كثير، بأن الإنسان قد يكره الشيء ويَعافُه ويودّ الابتعاد عنه، وهو محفوف بالخير، مفعم بالبركة، ولذلك فإن المسلم الواعي يعرف كيف يحب، ويعرف كيف يكره، فلا يندفع مع مَنْ أحب اندفاع الأهوج الأعمى،

---

(١) النساء: ١٩.

ولا يزورّ عمن أبغض ازورار الجافي المعرض المنكر الجاحد، وإنما يكون في الموقفين معتدلاً مقسطاً منصفاً.

ويبين رسول الإسلام العظيم أن المرأة المسلمة المؤمنة مهما كرهها زوجها، فإنها لا تخلو من خلق كريم يرضى عنه الرجل، فما ينبغي له أن يتجاهل هذا الجانب الرضيّ فيها، ويبرز الجانب الذي يكره:

«لا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً[١]، إنْ كَرِهَ منها خُلُقاً رَضِيَ منها آخَر»[٢].

المُسْلِمُ الحَقُّ زَوْجٌ مِثَالِيٌّ:

إن المسلم الحق ليقف إزاء هذه النصوص الصريحة القاطعة الآمرة بإنصاف المرأة والإحسان إليها، فلا يملك إلّا أن يكون زوجاً مثالياً، تنعم امرأته بعشرته الدمثة، وتسعد برفقته المهذبة الراقية، مهما امتد بهما العمر وطالت الأيام.

إذا دخل البيت أقبل على زوجه وأولاده بوجه طلق المحيّا، مفتر الأسارير، فبادرهم بالتحية المباركة الطيبة التي أمر الله تعالى بها، وجعلها تحية الإسلام المتميّزة إذ قال:

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[٣].

وحضّ على هذه التحية الرسول الكريم إذ قال لأنس رضي الله عنه:

«يا بُنَيَّ إذا دَخَلْتَ على أهْلِكَ فسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَليكَ وعلى أهْلِ بَيْتِكَ»[٤].

---

(١) لا يفرك: لا يبغض.

(٢) رواه مسلم.

(٣) النور: ٦١.

(٤) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وإنها لبركة، أي بركة، أن يلقى الرجل أهله بالسلام، ويقبل عليهم إقبال الربيع، فينضّر حياتهم بالسعادة والسرور والمرح، ويشيع فيها الأنس والرحمة والرضا، يمدّ يد العون لزوجته، إن رآها بحاجة إلى شيء من ذلك، ويواسيها باللطيف من القول إن آنس فيها شكوى من تعب أو سأم أو ضيق، ويشعرها أنها تعيش في ظل زوج قوي كريم سمح، يحميها، ويرعاها، ويهتم بشؤونها، ويوفر لها حاجاتها المشروعة كلها حسب استطاعته، ويرضي أنوثتها بالتجمّل لها بالزينة التي أباحها الشرع الحنيف، ويعطيها جانباً من وقته واهتماماته، لا يشغل عنها وقته كله في مطالعاته أو أعماله أو هواياته أو مسؤولياته أو أصحابه، فلقد ضمن الإسلام للمرأة حقها في الاستمتاع بزوجها، حتى إنه لم يبح للزوج أن يشغل وقته كله عنها بالعبادة، أجلّ الأعمال وأشرفها، كيلا يختل التوازن المحكم الذي قام عليه هذا الدين العظيم، ونجد ذلك فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ علم بمغالاته في العبادة، فقال له:

«ألَمْ أُخْبَرْ أنّكَ تَصومُ النّهارَ وتقومُ اللّيلَ؟»، قالَ: بلى يا رسولَ الله. قال: «فلا تفعلْ، صُمْ وأَفْطِرْ، ونَمْ وقُمْ، فإنّ لِجَسَدِكَ عليكَ حَقّاً، وإنّ لِعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وإنّ لِزَوْجِكَ عليك حَقّاً، وإن لِزَوْرِكَ عليكَ حَقّاً...»[1].

ودخلت خولة ابنة حكيم، امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه على نساء النبي ﷺ في ثياب رثّة، وهيئة سيئة، فقلن لها: ما لَكِ؟ فقالت عن زوجها: أما الليلَ فقائمٌ، وأما النهارَ فصائمٌ، فأخبرن النبي ﷺ بقولها، فلقي عثمان بن مظعون، فلامَه، وقال له: «أما لكَ بي أسوة؟» قال: بلى، جعلني الله فداك! فجاءت بعدُ حسنةَ الهيئة طيبةَ الريح، وفي رواية أن

(١) رواه البخاري ومسلم.

النبي ﷺ قال له: «يا عثمان، إن الرهبانية لم تُكْتَبْ علينا، أفمالكَ فيّ أسوةٌ؟ فواللَّهِ إنّ أَخْشاكمْ وأحفظَكم لِحدودِه لأنا»[1].

لقد كان الرسول الكريم ينشر هَدْيَه هذا بين أصحابه، ويأخذ بأيديهم إلى الاعتدال والتوازن في حياتهم التعبدية وحياتهم الخاصة مع زوجاتهم، حتى أصبح هذا الاعتدال والتوازن سجية من سجاياهم، يتواصون بها، ويحرصون على التحلّي بها، ويحتكمون إلى الرسول ﷺ إن أحبّ أحد منهم أن يتحلّل منها ويغالي في الزهد والتبتّل والعبادة.

فقد روى الإمام البخاري عن أبي جُحَيْفَة رضي الله عنه قال: «آخى النبي ﷺ بين سَلْمان وأبي الدَّرْدَاء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذّلة، فقال لها: ما شأنُكِ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل، فإني صائم. قال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم الليل، قال سلمان: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصلّيا، فقال له سلمان: إنّ لِرَبِّكَ عليك حَقّاً، ولِنَفسِكَ عليكَ حَقّاً، ولأهلِكَ عليك حَقّاً، فأَعْطِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ، فأتى النبيَّ فَذَكرَ ذلك له، فقال النبي ﷺ: صَدَقَ سَلْمانُ».

ولا يفوت المسلم التقي النابه اللبق أن يرطب جفاف الحياة الرتيبة مع زوجته، وينضّر جوانب العيش والمعاشرة الدائمة بينهما بالمداعبة اللطيفة الممتعة، والنكتة المرفّهة السارّة، يطلقها بين الحين والحين، متأسيّاً بذلك بالرسول العظيم صلوات الله عليه، الذي كان قمة شامخة في حياته كلها؛ إذ ما كانت تشغله الأعباء الجسام التي كان ينهض بها، من إرساء قواعد الدين، وتكوين الأمة المسلمة، وتوجيه كتائب الجهاد، وغير ذلك من الأعمال

(١) الحلية ١/١٠٦، وطبقات ابن سعد ٣/٣٩٤، والكنز ٨/٣٠٥.

الجليلة، ما كان يشغله هذا كله عن أن يكون زوجاً مثالياً مع زوجاته في حسن المعاشرة، وسماحة الخلق، وطلاقة الوجه، ولطف المداعبة والمرح.

فمن ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: «أتيت النبي ﷺ بحَريرَة قد طبختها له، فقلت لسَوْدَة رضي الله عنها، والنبيّ ﷺ بيني وبينها: كُلي، فأبَتْ، فقلتُ: لَتَأْكُلِنَّ، أو لأُلَطِّخَنَّ وجهَكِ، فأبَتْ فوضعتُ يدي في الحَرِيرة، فطليتُ وجهَها، فضحك النبي ﷺ، فوضع بيده لها، وقال لها: الطخي وجهها... وفي رواية: فخفض لها ركبته لتَسْتَقِيدَ مني، فتناولَتْ من الصحفة شيئاً، فمسَحَتْ به وجهي، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يضحكُ»[1].

أرأيت إلى هذا الخلق الرضي، والسماحة الطليقة، والقلب الكبير، في مداعبة المرأة وممازحتها وحسن معاشرتها، وإدخال السرور والمرح على قلبها؟.

وتروي السيدة عائشة أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، فسابَقْتُهُ فسبقْتُه. فلما حملتِ اللحم وبدنَتْ سابقْتُه فسبَقَها، فقال: هذه بتلك السبقة[2].

ويتسع صدره الشريف لإدخال المزيد من السرور على قلب زوجته الحبيبة الشابة، فيدعوها لحضور ضروب من اللهو البريء، ترفه بها عن نفسها، وتستمتع بمشاهدتها. من ذلك ما روته السيدة عائشة: «أن النبي ﷺ كان جالساً، فسمع ضوضاء الناس والصبيان، فإذا حبشية ترقص والناس حولها، فقال: يا عائشة، تعالي فانظري، فوضعتُ خدّي على منكبيه،

---

(١) الهيثمي ٣١٦/٤، والمنتخب ٣٩٣/٤، وكنز العمال ٣٠٢/٧، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، خلا محمد بن عمرو بن علقمة، وحديثه حسن.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود.

فجعلت أنظر ما بين المنكبين إلى رأسه، فجعل يقول: يا عائشة، أما شبعتِ، أما شبعتِ؟ فأقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، فلقد رأيته يراوح بين قدميه»[١].

وقالت السيدة عائشة في رواية أخرى: «والله لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ يقومُ على باب حُجرتي، والحَبَشَةُ يَلْعبونَ بالحِراب في المسجد، ورسولُ الله ﷺ يستُرني بردائه لأنظر إلى لعبهمْ بينَ أُذُنِه وعاتِقِه، ثم يقومُ من أجْلي، حتى أكونَ أنا التي أنصرفُ. فاقدُرُوا قَدْرَ الجارية الحديثة السِّنِّ الحريصة على اللَّهْوِ»[٢].

إن المسلم الحق لا يسعه إذ يرى سيرة الرسول الكريم مع زوجاته حافلة بحسن المعاشرة والممازحة والتبسّط، إلّا أن يكون مع زوجته طيب العشرة، موطّأ الكنف، لين الجانب، كريم الخلق، واسع الصدر، ما دام تبسّطه وترخّصه معها في حدود المتعة الحلال، والترفيه البريء المباح.

والمسلم التقيُّ الحصيفُ لا ينفعل وتُثار ثائرته للأسباب التافهة التي تنتفخ لها أوداج الأزواج الجهلة، إذ يقيمون الدنيا ويقعدونها إذا جاءت طبخة الطعام على غير مزاجهم، أو تأخرت وجبة الطعام عن وقتها المحدَّد، أو نحو ذلك من الأسباب التي كثيراً ما تقدح شرارة الغضب والخصام والنفور بين الزوجين؛ ذلك أن المسلم الحق المتأسّي بأخلاق الرسول الإنسان العظيم ليذكر دوماً من أخلاقه ﷺ ما يجعله كريماً حليماً متسامحاً.

إنه ليذكر من شمائل الرسول الكريم أنه «ما عابَ طَعاماً قَطُّ: إنِ اشْتَهاهُ أَكَلَهُ، وإن كَرِهَهُ تَرَكَهُ»[٣].

---

(١) رواه النسائي من طريق يزيد بن رومان عن عائشة. وانظر الروايات المختلفة فيه عنها في فتح الباري: كتاب العيدين.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) متفق عليه.

ويذكر أن النبي ﷺ سأل أهله الأُدْمَ، فقالوا: ما عندنا إلا خلّ، فدعا به، فجعل يأكل، ويقول: «نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ»[1].

ألا فليسمع الأزواج الحمقى الذين كثيراً ما استطار الشرر من عيونهم لتقصير وقعت فيه زوجاتهم، فتأخر الطعام عن موعده، أو جاء على غير مزاجهم الرائق، وقد تكون هناك أسباب قاهرة أرغمت الزوجة المسكينة على الوقوع في مثل هذا التقصير، ولكن الأزواج يغضبون قبل معرفة تلك الأسباب، أليسوا رجالاً قَوّامين على النساء!!؟.

والزوج المسلم الصادق لا يكتفي ببرّه وحسن معاشرته لزوجته، بل يمتد برّه وخيره وكرم ودّه إلى صديقات زوجته الفاضلات، وذلك تأسّياً بما كان يفعله رسول الله ﷺ؛ فقد حدّثت السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: «كانت عجوز تأتي النبي ﷺ، فيهشّ بها ويكرمها، ويقول لها: كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ فتجيبه: بخير، بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله. فلما خرجت، قالت عائشة: تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ وإنك لتصنع بها شيئاً لا تصنعه بأحد، فيجيبها النبي ﷺ: «إنّها كانَتْ تَأْتِينا عندَ خَدِيجة، أما علمتِ أنّ كرمَ الوُدِّ من الإيمان»[2].

وقد تأخذ الزوجةَ نزوةُ غضب، أو تستبدّ بها ثائرة انفعال لسبب من الأسباب، فتنكمش عن زوجها، وتشعره بغضبها وانفعالها، وهنا ينبغي أن يسع الزوجُ المسلم زوجتَه بخلقه الرضيّ، وحلمه الواسع، ونظرته العميقة لحقيقة المرأة وتكوينها ومزاجها، كما كان الرسول ﷺ يسع زوجاته إذ يغاضبنه، وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كنا معشر قريش قوماً نغلبُ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

النساءَ، فلما قدِمْنا المدينةَ وجَدْنا قوماً تغلبُهم نساؤهم، فطفقَ نساؤنا يتعلّمْنَ من نسائهم. قال: وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي. قال: فتغضب يوماً عليّ امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرتُ أن تراجعني، فقالتْ: ما تُنْكِرُ أن أراجعَك! فوالله إنّ أزواجَ النبي ﷺ ليُراجِعْنَهُ، وتهجُره إحداهُنّ اليومَ إلى الليل! قال: فانطلقتُ، فدخلتُ على حَفْصَة، فقلتُ: أتُراجِعينَ رسولَ الله ﷺ؟ قالتْ: نعم، قلتُ: وتهجُرُهُ إحداكُنَّ اليومَ إلى الليل؟ قالتْ: نعم، قلتُ: قد خاب مَنْ فعل ذلك منكنّ وخسِرَ! أفتأمَنُ إحداكنّ أن يغضب اللَّهُ عليها لِغضب رسوله؟ فإذا هي قد هَلكَتْ؟! لا تُراجِعي رسول الله، ولا تسأليه شيئاً، وسَليني ما بدا لكِ»[1]. ويأتي عمر رضي الله عنه النبي ﷺ، ويحدّثه بما دار بينه وبين حفصة من حوار، فيبتسم الرسول الكريم.

بمثل هذا الخلق الرضيّ العالي ينبغي أن يتحلّى المسلم، ليكون على قدم الرسول الكريم في شمائله وسجاياه، وفي أعماله كلها، وحينئذٍ يقيم الدليل على أن الإسلام دين الحياة الاجتماعية الراقية، وأن ما أصاب الأفراد والأسر والمجتمعات من شقاء وتفكك واضطراب وقلق وضياع، إنما كان ببعد الناس عن هذه القيم العليا التي نشر شذاها الإسلام، وجهْلِهم إياها، وظنِّهم الخاطىء بها، وإنها لَقِيَم خلقية ثمينة، إذا تحلّى بها الأزواج انتفى من حياة الأسر الخصام والشقاق، ورفرفت على البيوت أجنحة السعادة والطمأنينة والاستقرار والنعيم.

مِنْ أَنْجَحِ الأَزْوَاجِ:

ومن هنا كان الزوج المسلم الواعي من أنجح الأزواج في الحياة الاجتماعية، ومن أحبّهم إلى نفس المرأة الصالحة النظيفة الحَصان؛ ذلك أنه بما تلقّى من هَدْي الإسلام العظيم، يعرف كيف يتسرب إلى كوامن نفس

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

المرأة بلطف ولباقة وكياسة، فيوجهها الوجهة المستقيمة التي تقتضيها الحياة الإسلامية المنسجمة كل الانسجام مع الفطرة السليمة والخلق النقي القويم. إنه ليتعرّف على ميولها ورغباتها ومزاجها، فيحاول جهده أن يوفق بيت تلك الميول والرغبات وبين ما يريد لها من سيرة حسنة مثلى، دون أن ينسى لحظة واحدة أنها خلقت من ضِلَع، وأن تقويم الضِّلَع أمر لا سبيل إليه.

كَيِّسٌ فَطِنٌ مَعَ زَوْجَتِهِ:

والمسلم الحق الواعي كيِّسٌ فَطِن دوماً مع زوجته؛ إنه لا ينال أحداً من أهلها بسوء أمامها، ولا يلقي على مسامعها كلمة نابية جارحة لأحد من ذويها، مراعاة لشعورها، وهي بالمقابل ستحترم شعوره، فلا تفعل أو تقول ما يؤذيه أو يمسّ أحداً من أهله بأذى أو سوء.

وهو لا يفشي لها سرّاً ائتمنته عليه، ولا يذيع خبراً أفضت به إليه وخصّته به؛ ذلك أن التساهل في مثل هذه الأمور كثيراً ما يفجّر براكين الخلاف بين الزوجين، ويطفىء شعلة المودة بينهما، والزوج المسلم الحصيف اللبق بمنجاة من هذا كله وعصمة، ما دام ينهل من معين الإسلام الصافي، ويتأدب بأدبه العالي القويم.

يُكَمِّلُ نَقْصَهَا:

والزوج المسلم الواعي يحرص على أن يكمل نقص زوجته إن آنس فيها نقصاً في علم أو سلوك، ويسلك في سبيل ذلك أنجع السبل وألطفها وأكيسها، وإن صادف في أثناء ذلك منها نشوزاً أو رغبة في انحراف، ردّها إلى الجادّة برفق وحلم وذكاء، متجنباً تعنيفَها أو لومَها أمام الناس، مهما كانت الأسباب؛ فإن أشدّ ما يؤلم المرأة أن يَسْمَعَ أحدٌ لومَها أو يشهد تقريعها،

والمسلم التقي الواعي من أرهف الناس إحساساً، وأكثرهم تقديراً لشعور الآخرين.

يُحْسِنُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ إِرْضَاءِ زَوْجِهِ وَبِرِّ وَالِدَتِهِ:

والزوج المسلم الصالح الواعي يعرف كيف يوفق بين إرضاء والدته وزوجه، فيستخدم ذكاءه ولباقته وحلمه وقوة شخصيته في تعامله معهما، بحيث لا يجور على أحد الطرفين، وبذلك لا يكون عاقّاً لوالدته ولا ظالماً لزوجته، بل يعرف لوالدته حقوقها، ويقوم ببرّها على أحسن وجه، ويعرف لزوجته أيضاً حقوقها، فلا يهضم منها شيئاً في سبيل برّ الوالدة ورعايتها، وإنّ المسلم الصادق النبيه لقادرٌ على هذا، ما دام متزوّداً بزاد التقوى، مسلّحاً بالأخلاق الرضية السمحة المستمدة من هَدْي الإسلام وتعاليمه الغراء، التي أنصفت كلاًّ من الوالدة والزوجة، ووضعت كلاًّ منهما في مكانه الصحيح.

يُحْسِنُ القِوامَةَ على المَرْأَةِ:

بهذه الأخلاق العالية، وبهذه المعاملة الحسنة، يملك الزوج المسلم قلب زوجته، فلا تعصي له أمراً، ومن هنا كانت القِوامة للرجل المسلم على المرأة، بما حلاّه الدين من صفات، وما زوّده من مقومات، وبما ألزمه من ضوابط وتشريعات:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[1].

ولهذه القِوامة تبعات، وعلى الرجل بسببها مسؤوليات؛ فالرجل مسؤول عن زوجته مسؤولية كاملة:

---

(١) النساء: ٣٤.

«كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإمام راعٍ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أَهْلِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِها ومَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فكُلُّكُمْ راعٍ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

إنها المسؤولية التي تمسك بناصية كل فرد في المجتمع الإسلامي، فما تجد أحداً فيه إلاّ مسؤولاً عن جانب من جوانبه؛ ذلك أن الحياة في نظر الإسلام جدٌّ وعمل وبناء، يتطلب من كل فرد في المجتمع أن يكون مسؤولاً، وليست هزلاً وفراغاً ولهواً.

وكما أن الإسلام أوصى بالمرأة وأعلى مكانتها، أمرها أن تعرف دورها في الحياة، وأن تقف عند الحدود التي رسمتها لها الشريعة، لتستطيع أن تؤدي رسالتها، وتقوم بدورها، على النحو الأفضل، شريكة للرجل في تربية الأجيال، وتنضير الحياة بالمتعة والسعادة والجمال.

وإذ طلب الإسلام من الرجل أن يحسن صحبة المرأة ويستوصي بها خيراً، أمرها كذلك أن تطيع الرجل في حدود الحلال والإنصاف والعدل، وذهب في التشديد على هذه الطاعة مذهباً بعيداً، يصوّره قول الرسول الكريم صلوات الله عليه:

«لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أنْ يَسْجُدَ لِأَحدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوجِها»(٢) بل إنه جعل رضا الزوج عنها سبباً في دخولها الجنة:

«أيُّما امْرَأَةٍ ماتَتْ وزَوْجُها عَنْها راضٍ دَخَلَتِ الجَنَّة»(٣).

وتوعّد المرأة الناشزة المجافية زوجها باللّعنات تصبّها الملائكة عليها حتى تثوب إلى رشدها، وتصطلح مع زوجها:

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
(٣) رواه ابن ماجه والحاكم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

«إذا باتَتِ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِها لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حتّى تُصْبِحَ»[١].

وبلغ من حرص الإسلام الحنيف على تأكيد قوامة الرجل على المرأة، ووجوب طاعته وإرضائه أنه لم يأذن للزوجة بالصيام في غير شهر رمضان إلاّ بإذنه، ولا استقبال أحد من الضيوف إلاّ بإذنه:

«لا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصومَ وزَوْجُها شاهِدٌ إلاّ بإذْنِهِ، ولا تَأْذَنَ في بَيْتِهِ إلا بإذْنِهِ»[٢].

لقد أعطى الإسلام للزوج حق القِوامة على المرأة ليكون رجلاً بحق، يعرف كيف يقود سفينة الحياة في أسرته نحو شاطىء السلامة والهدى والرشاد، وحذّر الرجال قاطبة من أن تأخذهم الفتنة بالنساء، فتعشو أبصارُهم، وتخور عزائمهم، ويرقّ دينهم، فيتغاضَوْنَ عن انحراف النساء عن جادة الشرع، ثم يفلت من أيديهم الزمام، فإذا المرأةُ المنحرفة كلُّ شيء في البيت، لا يُعْصى لها أمر، ولا تُرَدّ لها كلمة، ولا تُرفَض لها رغبة، وصدق رسول الله ﷺ، إذ جعل هذا أضرَّ فتنة تصيب الرجال:

«ما تَرَكْتُ بَعْدي فِتْنَةً هيَ أَضَرُّ على الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ»[٣].

إن الزوج المسلم الرجل لا يضعف أمام فتنة زوجته المنحرفة مهما طغت تلك الفتنة، ويفهمها بكل لطف ولباقة أن فتنتها إذا كانت حبيبة إلى نفسه، فإن مرضاة الله أحبّ، وأن مودّة الرجل لزوجه مهما عظمت فهي دون حبّ الله ورسوله:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

ومن هنا تنتفي من حياة المسلم الحق الصادق هذه المخالفات النسائية التي نجدها في بيوت كثيرة مِمَّنْ ينتسبون إلى الإسلام.

إن الرجل الذي يرى بأمّ عينه زوجتَه وبناتِه وأخواتِه يخرجن إلى الشارع متبرّجات كاسيات عاريات، قد حَسَرْنَ عن رؤوسهنّ، وكَشَفْنَ عن صدورهنّ وسواعدهنّ، ولا يبادر إلى تغيير هذا الواقع المنحرف عن هَدْي الله وأدب الإسلام إنما فقد رجولته وانحسر عن إسلامه، وباء بغضب من الله، ولن ينتشله من هذه الوهدة التي ارتكس فيها إلّا توبة نصوح توقظ ضميره، وهزة عنيفة تحرّك رجولته، وتردّه إلى الطريق القصد والصراط المستقيم.

لقد وضع الإسلام للمرأة آداباً، وخصّها بزي مميِّز، وحدّد لها لباسها الذي يسوغ لها أن تخرج فيه إلى الشارع، أو تظهر أمام الرجال غير المحارم، وهو ما يسمى بالحجاب الشرعي للمرأة المسلمة. والمرأة المسلمة التي رضعت لبان الإسلام، ونهلت من معينه الصافي، ونشأت في جوّه الوارف الظليل، تتقبّل هذا الحجاب بنفس راضية، وقلب مطمئن، واقتناع راسخ عميق، على أنه دين صادر عن الله عزّ وجلّ، وليس تعسّفاً من الرجال، ولا إرضاءً لأنانياتهم وتحكّمهم واستئثارهم بالمرأة، ولا تقليداً ابتُدِع في العصر الأموي زمن الوليد لتهتكه، كما يحلو للتافهين والتافهات والفارغين والفارغات أن يتبجّحوا به من غير سند من علم، أو حجّة من منطق، أو هَدْي من كتاب منير.

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فيما رواه البخاري عنها، قالت: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِساءَ المُهاجِرَاتِ الأُوَل. لما أنزلَ اللَّهُ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على

(١) التوبة: ٢٤.

جُيوبهنَّ﴾شَقَقْنَ مُروطَهنَّ، فَاخْتَمَرْنَ بِها». وفي رواية للبخاري أيضاً: «أَخَذْنَ أُزُرَهُنَّ، فَشَقَقْنَها مِنْ قِبَلِ الحَواشي فَاخْتَمَرْنَ بِها».

وفي رواية عن صفيّة بنت شيبة، قالت: «بَيْنا نحن عندَ عائشة رضي الله عنها ذكَرْنا نساءَ قريشٍ وفضلَهنَّ، فقالتْ عائشة رضي الله عنها: إنّ لِنساءِ قريش لَفَضْلاً، وإني والله ما رأيتُ أفضلَ من نساء الأنصار، ولا أشدَّ تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل! لقد أُنْزِلَتْ سورةُ النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلبَ رجالُهنّ إليهنّ يتلون عليهنّ ما أنزلَ الله إليهم فيها، ويتلو الرجلُ على امرأته وابنته وأخته، وعلى كلّ ذي قرابة، فما منهم امرأةٌ إلّا قامَتْ إلى مِرْطِها المُرَحَّل[1]، فاعتجرَتْ به[2]، تَصْديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحنَ وَراءَ رسول الله ﷺ مُعْتَجِراتٍ، كأنَّ على رؤوسهنَّ الغِرْبان»[3].

رحم الله نساء الأنصار، ما أقوى إيمانَهنَّ! وما أصدقَ إسلامَهنَّ! وما أجملَ انصياعَهنَّ للحق حين نزوله! وإن كلّ مؤمنة بالله ورسوله حقَّ الإيمان، لا يسعها إلّا أن تتأسَّى بنساء الأنصار، فتُلْزِمَ نفسَها الزِّيَّ الإسلامي المميِّز، غير عابئة بما يحيط بها من عُرْيٍ وتكشّف وتبرُّج، وإني لأذكر موقف فتاة جامعية مسلمة متحجّبة، لا يقلّ روعة عن موقف نساء الأنصار رضي الله عنهنّ: إذ سألها مراسل صحفيّ زار جامعة دمشق عن حجابها وعما يصبّرها عليه في حرّ الصيف القائظ، فأجابته: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾.

بمثل هؤلاء الفتيات المسلمات الواعيات الطاهرات تعمر البيوت المسلمة، وتُرَبَّى الأجيال على الفضيلة، ويزخر المجتمع بالرجال الأبطال العاملين البُناة، وإنهنّ اليوم لَكثيراتٌ والحمد لله.

---

(١) هو كساء من صوف نقشت فيه تصاوير الرّحال.

(٢) أي تلففت به.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب التفسير.

والمسلم الصادق مسؤول عن التزام نسائه بآداب الإسلام في الخروج من بيوتهنّ، وعن اتخاذهنّ الحجاب الشرعي الذي غدا عنوان المرأة المسلمة وزيّها المتميّز الأصيل. ويوم تغلب الزوجَ زوجتُه أو بيئتُه على أمره، وتحملانه على تخطّي هذا الحكم الشرعي، ويقف عاجزاً أمامهما لا يبدىء ولا يعيد، فسلام على دينه وعلى رجولته معاً.

على أن مسؤولية الزوج عن زوجه لا تقتصر على مظهرها الخارجي، وإنما تتعداه إلى عباداتها وسلوكها في الحياة؛ فهو مسؤول عنها إنْ قصّرت في عبادة، أو فرّطت في جنب الله بتهاون أو معصية، ومسؤول عن حسن سيرتها، واستقامة سلوكها، وقيامها بواجباتها، وأيّ تقصير منها في جانب من هذه الجوانب يخلّ برجولة الزوج، ويقدح في حسن إسلامه، ويخدش القِوامة التي أكرمه بها الله.

ذلك أن الإسلام جعل المرأة أمانة في عنق الرجل، إذ غالباً ما تكون المرأة على دين زوجها، يقودها معه إما إلى الجنة، وإما إلى النار، ومن هنا كان أمر الله للمؤمنين في وقاية أنفسهم وأهليهم من النار معاً، وقد جاء مصوِّراً العاقبة المخيفة المروِّعة في مشهد رهيب، تنهلع لشدّته القلوب، وتُدار من هوله الرؤوس، إن هم تهاونوا في أمر نسائهم وذويهم، ولم يأطروهم على الحق أطْراً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

إن قِوامة الرجل على المرأة لا تتحقّق كما أرادها الإسلام، إلّا إذا كان الزوج رجلاً ناجحاً في قيادته لبيته وأسرته، والزوج المسلم لا يكون رجلاً بغلْظته وفظاظته وقسوته وعنفه وبطشه وسلاطة لسانه، فهذه رجولة الجاهلية، والرجولة

---

(١) التحريم: ٦.

في الإسلام شيء آخر غير هذا كله. الرجولة في الإسلام: شخصيةٌ قوية جذابة محبَّبة، وخلقٌ عال نبيل، وتسامحٌ وإغضاء وعفوٌ عن الهفوات الصغيرة، ووقوفٌ جادّ حازم عند حدود الله، وتطبيقٌ لأحكامه على أفراد الأسرة جميعاً، وقيادةٌ بارعة لبقة نحو الخير، وبذلٌ وسخاء في غير سَرَف ولا تبذير، ونباهةٌ ووعي وشعور عميق بالمسؤولية في الدنيا والآخرة، وإدراكٌ للحالة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها البيت المسلم الراشد، وهذه هي صفات المسلم الحق الذي أراده الإسلام.